

في العيز الالفي لولر الفرورسي

الشاهنامه

للدكتور عبد الوهاب عزام

ترجمة الكلمة التي ألقاها الأستاذ عزام بالفارسية على قبر الشاعر في طوس

لست أريد أن أفصل الكلام في الشاهنامه أو بعض مباحثها الكثيرة . فأدباه إيران الكرام أعرف بذلك وأقدر عليه ، ولكني أريد أن أقدم اليكم بكلمة موجزة تبين عن مكانة الشاهنامه في آداب الأمم ولا سيما الأمم الشرقية :

قال بعض المؤلفين إن الشاهنامه إلياذة الشرق . وذلك التشبيه غير صحيح من بعض الوجوه ، فإن الشاهنامه جذيرة أن يكون لها بين أم الشرق مكانة أرفع من مكانة الإلياذة بين أم القرب . ذلكم بأن الإلياذة قصة حروب وقعت في معترك ضيق من آسيا الصغرى بين اليونان والطوراديين . وهي زهاء ثمانية آلاف بيت ، تستمر حوادثها ستة وخمسين يوماً . والشاهنامه تقص أحداثات ميدانها ما بين الهند والصين إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل كل ما وعت الروايات من تاريخ الأمة الإيرانية وأساطيرها من أقدم عصورها إلى العهد الإسلامي ، ويشترك في وقائعها التورانيون والمرب والروم والهند ، ولا تحرم الصين من نصيب فيها . فكل أم آسيا العظيمة وبعض أم أوروبا يتناولها موضوع هذا الكتاب العظيم . فقد أوجى الكتاب من التاريخ والأساطير ما هو جدير بمناية المؤرخ الناقد ، مؤرخ السياسة أو مؤرخ الأدب والاجتماع وصفت الشاهنامه نشوء الحضارة الإيرانية وتطورها ، وقصت تاريخ الإيرانيين ملوكهم وأبطالهم وكبرائهم في القرون المتطاولة ، وأبانت عما كان بينهم وبين الأمم المجاورة من عداة ومودة ، وحرب وسلم . وصفت الجلائد الهائل المستمر بين إيران وتوران ، ثم مثلت ما كان بين الأمتين من جوار ومودة في القرابة بين ملوك إيران وتوران ، إذ جعلهم جميعاً بنى أفريدون ، ثم وصلت هذه القرابة بمصاهرات عديدة : كتزوج سیاوخسن بن كياكوس جريرة بنت پيران أعظم قواد التورانيين ، ثم فرنكيس بنت أفراسياب أعظم ملوك توران ، ومن سیاوخسن وفرنكيس ولد كيخسرو حفيد كياكوس وسبط أفراسياب . وكذلك نجد في العمود التاريخية تزوج أنوشروان بنت الخاقان

وفرنسا ، وإدخال روسيا في حظيرة عصبة الأمم وحظيرة الدول الغربية بعد أن لبنت بيعة عنها زهاء ستة عشر عاماً . وكانت هذه أول مرحلة في سياسة فرنسا الجديدة لتحقيق عزلة الماسيا عن باقي الدول الأوروبية ؛ وكانت المرحلة الثانية ، هي توثيق أواصر التحالف بين يوجوسلافيا وفرنسا ، ثم حمل يوجوسلافيا على التقرب من إيطاليا ، وأخيراً تحقيق التفاهم بين فرنسا وإيطاليا وتسوية المسائل الملقة بينهما وحملها بذلك على نبذ سياسة التفاهم مع المانيا الهتلرية بصورة نهائية . وكانت زيارة الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا تحقيقاً لهذا البرنامج . ولكن وقعت فاجعة مرسيليا التي ذهب ضحيتها الملك اسكندر ومسيو بارتو ؛ ولقيت السياسة الفرنسية بذلك صدمة قوية . يد أنها صدمة مؤقتة ، والظاهر أن فرنسا ستمضي في تنفيذ برنامجها السياسي ، وأن مسيو لاقال وزير الخارجية الجديد ، سيستأنف العمل حيث وقف مسيو بارتو ؛ وسيقوم مكانه بزيارة رومه ، كما كان مقرراً من قبل . ولكن الموقف ما يزال غامضاً ، ولا سيما إزاء ما يخشى وقوعه في يوجوسلافيا عقب وفاة الملك اسكندر من الحوادث والتطورات الخطيرة

تلك سيرة الرجلين اللذين فقدتهما فرنسا في أسبوع واحد ، وقد فقدت فرنسا في الأعوام الثلاثة الأخيرة جل أقطاب زعمائها القديما ، مثل كليمنصو وفوش ودومير وبريان وبوانكاريه وبارتو ؛ وطويت بذهابهم مرحلة أو مراحل من تاريخ فرنسا المعاصر ، ولم يبق من أقطاب ساسة الجيل المنصرم سوى القلائل ، مثل تارديو الذي يمثل الكتلة القومية ، وهريو الذي يمثل السياسة الأشرافية . ولا ريب أن فرنسا ستشعر بفداحة هذه الخسارة خصوصاً في هذه الآونة العصيبة التي تقضي كثيراً من العمل السياسي المستتير . يد أن للسياسة الفرنسية تقاليد راسخة ، وسوف يبرز إلى الميدان السياسي رهط من الساسة والزعماء الجدد ليملاؤوا ذلك الفراغ ، وليقودوا الجمهورية الثالثة إلى نفس المثل والغايات التي عمل لها ساسة الجيل الراحل

محمد عبد الله عثمان
الحامى

معروف لا يشك أحد في وجوده ، وأنه ناظم هذه الملحمة الرائعة ، على حين يكثر خلاف المؤرخين في الإلياذة وناظمها ، وعلى حين أن المهابهاراتا والرامايانا نظم شعراء عديدين بعضهم مجهول فالشاهنامه سجل تاريخ أمة وأساطيرها منذ أقدم عصورها ، وهذا لا يعرف في منظومة أخرى

لم يكن الفردوسي مخترع هذه الحداثات بل كان مصورها ، فقد نظم الرجل ما ادخرته الروايات ، ولم يكن نخرًا في الذهب مع خياله كيف يشاء . ودليل هذا في الكتب الأخرى ولاسيما كتاب الثعالبى « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » وهو أقرب الكتب إلى الشاهنامه ، وقد عاصر الثعالبى الفردوسى وقدم كتابه للأمير نصر أئى السلطان محمود التمزوى الذى قدمت إليه الشاهنامه



أبو القاسم الفردوسى لدى عودته من عند السلطان محمود التمزوى

وهذا يزيد في قيمة الكتاب ، وبجمله مرآة تاريخ الأمة وأفكارها ، لاصورة من خيال الشاعر وأوهامه . وهذا أيضاً يزيد في قدر الفردوسى ، فمسير جداً أن يذلل الشاعر هذم الأكداس من الحوادث للنظم السلس اللين ، ويكلف نفسه السير في حزنها وسهاها ، لايتخير الأيسر والأسهل من موضوعات النظم

لو كانت الشاهنامه قصصاً متشورة خالية من روعة الشعر وموسيقى النظم ، لكانت مع هذا جديرة بعناية الإيرانيين والأمم الشرقية ، ثم عناية المؤرخين والباحثين في الأمم كلها . فكيف وقد أفرغت هذه القصص في صور شعرية رائعة ، ونظم متين منسجم ، يزيد المعنى جلالاً وروعة ؟ كيف وهى جهد شاعر

وأما العرب فقد أجل الكتاب في أنبأهم ما كان بين الإيرانيين والساميين من حوادث في العصور التطاولة ، فحمل الضحاك عريباً ، وقص وقائع كيكائوس وملك هاماوران (حمير) ووقائع أخرى بين الساسانيين والقبائل العربية . ثم ذكر طرفاً مما كان بين الأمتين من مودة وتعاون فيما كان من مصاهرة بينهما . إذ تزوج بنو أفريدون الثلاثة سلم وتور وإبرج ثلاث بنات لملك اليمين . وتزوج كيكائوس سودابة بنت ملك حمير ، وتزوج زال بن سام رودابة بنت مهرباب ملك كابل وهى عربية من نسل الضحاك ، فولد رستم بطل الأبطال من أب إرائى وأم عربية . وأوضح من هذا ما كان بين الأمتين من مودة في العهد الساسانى أعظم مظاهرها علاقة ملوك الحيرة بملوك الفرس ، وما كان للفرس من سلطان ومحبة بين العرب في البحرين واليمن

والروم ذكروا في أنباء الوقائع الهادية التى كانت بين الساسانيين ودولة الروم الشرقية وفي قصة الاسكندر . ووصفت مودتهم في قرابة ملوك الروم أبناء سلم بن أفريدون ، وفي تزوج گشتاسب بن لدااسب من كتيابون بنت ملك الروم ، وتزوج كسرى پرويز مهديم بنت القيصر

والهند ذكروا في حوادث منها وقائع كابلستان وحوادث بهرام گور وتزوجه بنت ملك الهند . والصين تذكر في وقائع التورانيين وفي التجارة

فهذه المنظومة العجيبة التى تتناول حوادث قرون وأم كثيرة لا يبنى أن تشبهه بالإلياذة الضيقة الحدود ؛ ويبنى أن تكون عناية الشرقيين بها أعظم من عناية الغربيين بالإلياذة

ولا ريب أن في الشاهنامه أساطير كثيرة ، ولكن الأساطير في الأدب أروع من الحقائق . ثم لا يتكرر دلالة الأساطير على تطور الأمم وعلى كثير من عاداتها وأخلاقها . فان الأساطير وليدة خيال الأمة وأمانها ، لا يمحدها الواقع ولا تضيقها الحقيقة

وكم في أساطير الشاهنامه في المهديين الأول والثانى - عهدى البيشناديين والكيانيين - من حقائق دينية واجتماعية وتاريخية ألبست ثوب الخيال ، وحرفت فيها الوقائع والأسماء

وللشاهنامه ميزة أخرى على الإلياذة ، وملاحم أخرى كلها بهاراته والرامايانا ، بأنها كلها لشاعر واحد ، اذا استثنينا ألف البيت التى نظمها الدقيقى . والفردوسى ناظمها شاعر تاريخى

كثيرة جداً ، وهذا الولع بالثأر يتمكن حتى نجد الرجل الماقل
گو درذ يشرب دم أطيب الأعداء ييران

ويتجلى في الكتاب كذلك نذب حظوظ الإنسان في هذا
العالم الحائل والاعتبار بغير الزمان » اهـ

هذه الميزات الأدبية والتاريخية جعلت للشاهنامه مكانة عليّة
في الأدب الفارسي منذ نظمت ، فحكاها كثير من الشعراء
بعض متصلة بموضوعها ، فنظمت ست قصص أبطالها من أسرة
رستم وهي : گرشاسب نامه ، وبطلها گرشاسب جد أسرة سام
ابن زريمان . وسام نامه ، وبطلها سام بن زريمان جد رستم .
وجهانگیر نامه ، وبطلها جهانگیر بن رستم . وفراز نامه ،
وبطلها فراهرز بن رستم . وبانو گشاسب نامه ، وبطلها بانو كشاسب
بنت رستم وامرأة گیو بن گودرز . وبرزو نامه ، وبطلها برزو بن
سهراب بن رستم . ونظمت بهمن نامه ، وبطلها بهمن بن اسفنديار
ثم نظمت بمد قصص أخرى كتيهور نامه التي نظمها الهاتقي ،
وشاهنامه القاسمي الكونابادي ، وشاهية مجد الدين الباهري
النسائي . ولا تزال محاكاة الشاهنامه مستمرة حتى العصر
الحاضر

وقد حاكها الترك إن صنع ما يروى أن شاعراً في القرن
العاشر الهجري من روجه اسمه الفردوسي الطويل نظم شاهنامه
طويلة جداً في ٣٨٠ جزءاً ، وأهداها للسلطان بايزيد الثاني ، فأمر
بانتخاب ٨٠ جزءاً منها وإحراق الباقي ، فغضب الشاعر وهجا
السلطان وهجر بلاد الروم الى خراسان حيث مات غمّاً

وأولع الناس بترجمة الشاهنامه الى لغاتهم ، فترجمت الى عشر
لغات . وكانت اللغة العربية أولى اللغات بترجمة الشاهنامه ، لما
بين الأديب العربي والفارسي من التقارب . ولذلك كانت العربية
أسبق اللغات الى إحراز هذه الترجمة . فقد أمر الملك المظلم بن
الملك المادل الأيوبي انفتح بن علي البنداري الأصفهاني أن يترجم
الشاهنامه الى اللغة العربية ، فشرع يترجمها في يجادى الأولى
سنة ٦٢٠ ، وأتمها في شوال سنة ٦٢١ . استطاع أن يترجم هذا
الكتاب العظيم في ثمانية عشر شهراً ، وهي همة عظيمة ومقدرة
عظيمة من هذا الأديب الكبير . ونحن نترقب لآخواتنا الإيرانيين
بفضل إنشاء الشاهنامه وفضل ترجمتها الى اللغة العربية

ترجم البنداري الكتاب ثراً بلغة سهلة غير متكلفة ، ونقل
الحوادث مجردة من التفصيل والتصوير الشعري ، فجاء الكتاب

نابهة في أكثر من ثلاثين عاماً ؟ لا تقتصر الشاهنامه على قصص
الحادثات ، ولكنها تصور الوقائع حتى يكاد القارى يرى الفرسان
في حوبة الوعى ، ويصير النقع معقوداً في الآفاق ، ويسمع ساييل
السيوف ووقع الأسنة ، وسياح الأبطال وسبيل الخيل

وهذا الفردوسي وصف الحروب لا يقتصر في تصور عواطف
الانسان والابانة عنها على لسان أبطال قصته ، وهو ليس عاجزاً
في قصص الحب كما ترى في قصة زال وروزابه ، وقصة بيژن
ومنيژه ، وقصة گشتاسب وكتايون . وناعميك به رجل أخلاق
لا يألو في اللعاء الى الخير والنهي عن الشر . وهو بصير بأحداث
الزمان يستخرج العواظ من وقائع الكتاب ، فلا يكاد يفتح
فصلاً أو يختمه إلا واعظاً بليغاً محذراً من غير الزمان

وإني أستشهد هنا أستاذاً من كبار المستشرقين درس
الشاهنامه درساً بليغاً ، هو الأستاذ نلدكه الألماني قال :

« إن الفردوسي شاعر مطبوع ، يتولى على فكر القارى ،
ويحي القصة التافهة بانطاق المثلين أماناً ، بل كثيراً ما تضيع
الحركات في جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن
إيابة عن حادثة لم يكتب عنها في الأمل الذي نظم عنه أكثر من
أنها وقعت ، ويبيح لنفسه أن يخلق حادثات صغيرة ليم الوصف .
وهو يعرف كيف يحي أبطاله ، بل يخرج أحياناً البطل في صورة
جديدة غير التي عرفته بها الروايات ، وما أقدره على تبيان ما وراء
أعمال الأبطال من أسباب وأفكار . والوصف النفساني رائع
جداً ، ونقمة البطولة تسمع في الكتاب كله ، وعظمة الزمان
القديم وأهمته ، وفرحه ورحه وجلاده ، مصورة في أسلوب
موجب ، حتى ليمع الانسان صليل السيوف وجلبة المآذب .
هو لا يبلغ في التفصيل مبلغ هوميير ، ولا يستطيع مثله أن يجعل
حادثة في كلمات قليلة ، ولكنه مع هذا يمضي قدماً الى غايته حين
يصف الوقائع ، وإن يكن في الخطب والرسائل مكثراً

مشاهد الحرب تستقبل القارى في كل مكان ، ولكن هناك
ميادين للحب والمواطف الرقيقة ، فهناك قصص للحب عظيمة
كقصة زال وروزابه ، وبيژن ، ومنيژه . وهي أجمل أقسام
الكتاب ، والشاعر في هذا ، بل في كتابه كله ، ملك القارى .
ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقراءة واضحة في
الكتاب كذلك ، ولكن يصحبها التعطش للدماء ثاراً للأقارب ،
فقصة الانتقام لسيا وحسن مثلاً تملأ صفحات من الكتاب

أن يستعان بهذه الترجمة في المقارنة بين نسخ الشاهنامه المختلفة
وترجيح بعضها على بعض

اهتمت الأمم الشرقية الاسلامية من بعد بترجمة الشاهنامه ،
فترجمت الى التركية المانية ، والى التركية الشرقية ، وطبعت
الترجمة الأخيرة في طشقند سنة ١٣٢٦ . وترجمت الى اللغة
الكجراتية وطبعت في بمباي (١٨٩٧ - ١٩٠٤) ، وترجمت
الى اللغة الأردية كذلك

وفي القرن التاسع عشر الميلادي عرف الأوربيون الشاهنامه
واهتموا بها ، فترجمها مول الى الفرنسية وطبعت على نفقة الدولة
في نصف قرن بين سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٧٧ وطبع معها الأصل
الفارسي في ثمانية مجلدات ضخمة ، وهي أعظم طبعة للشاهنامه
عرفت في العالم كله

وترجم انكسون الى الانكليزية ورسم ومهراب ، ثم
الكتاب كله ترجمة مختصرة وطبعت في لندن سنة ١٨٣٠ ،
وترجم أنولده مهراب ورسم أيضاً . ثم ترجم وزير وأخوه
الكتاب كله نظماً وطبع سنة ١٩٠٥ فابدها ، وكذلك ترجم
دُجبرس معظم الكتاب وطبع في لندن سنة ١٩٠٧

وترجم الكتاب الى الألمانية نظماً مرتين : ترجمة فون شاك
وطبع في برلين سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٥ ، ثم ترجمه رُكوت ،
وطبع في برلين من سنة ١٨٩٠ - سنة ١٨٩٥
ومن قبلها ترجم جُرس خلاصة الكتاب الى موت رسم ،
وطبعه في برلين سنة ١٨٣٠

وأوفى ترجمة للشاهنامه الترجمة الايطالية ، ترجمها بزي نظماً ،
وطبعها في تورينو ١٨٨٦ - ١٨٨٨ في ثمانية مجلدات

وطبع الأوربيون الشاهنامه الفارسية نفسها مراراً ، طبع
الجزء الأول منها لسدن في كلكتا سنة ١٨١١ ، وطبعها كلها -
ترجمت في كلكتا سنة ١٨٢٩ وهذه الطبعة أصل لطبعات
أخرى . وطبعها مول في باديس كما تقدم . وطبع ثلاثة أجزاء
منها فون فولر في ليدن بين سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٨٤

فهذا اهتمام الأوربيين بالشاهنامه وهم لا تربطهم بها ويقوموا
ما يربط الأمم الشرقية . وإنما نرجو أن يزيد اهتمام الشرقيين بهذه
المنظومة العظيمة حتى لا تخلو لغة من اللغات الشرقية من ترجمة
كاملة منشورة ومنظومة

ولعل هذا الاحتفال العظيم بذكرى شاعرنا النابغة الخالد ،

في نحو ١٨٥٠٠ سطر ، في كل سطر نحو عشر كلمات . وذلك نحو
نصف الشاهنامه

ومعظم تصرف المترجم يرجع الى ما يأتي :

١ - حذف بعض الفصول الصغيرة كفصل تجريب
أفريدون أولاده في قصة أفريدون ، وقتل رسم القيل الأبيض
وذهابه الى الجبل الأبيض في قصة منوچهر ، ومقالة رسم وجنكس
في قصة كامدس الكاشاني ، ونصح زال ابنه رسماً في قصة
اسفنديار الخ

٢ - وحذف بعض الحوادث كما حذف ما وقع بين رسم
والتركان حينما ذهب لاحضار كيقباد من جبل ألبز ، وحذف
ذهاب امرأة گيو الى أبيها رسم حينما ذهب زوجها الى توران
باحثاً عن كيخسرو

٣ - وحذف أكثر مقدمات الفصول التي يتكلم فيها
الفردوسي عن نفسه أو يعظ ، كما حذف مقدمة قصة مهراب ورسم
التي تكلم فيها الشاعر عن موت الشبان وحكمته ؛ ومقدمة قصة
سيانوخسن التي يتكلم فيها الفردوسي عن الشعر والكلام البليغ

٤ - اختصار الرسائل والخطب والوصايا الطويلة ، واختصار
الوصف في الحروب وآلات الحرب ، ووصف الخيل والحوش ،
ووصف المآدب الخ

٥ - وحذف مدائح السلطان محمود ، وإثبات مدح الملك
العظيم في بعض مواضعها

٦ - ويزيد روايات من كتب التاريخ كالطبري والسمودي ،
كاروي قصة ملك الحضرة في عهد سابور بن أردشير ، وتقل
ما كان بين هرمز بن رسي ورعيته

والمترجم في هذا أمين لا ينقل كلمة من كتاب آخر إلا نبه
اليها الخ . الخ . وقد أصلحت بعض هذه الميوس على قدر الطاقة
حينما نشرت الترجمة العربية

لم ينقل المترجم الى العربية جمال شعر الفردوسي ، ولكن
نقل حوادث الشاهنامه مختصرة فيسّر لقارى العربية الأحاطة
بموضوع الكتاب في وقت قصير . ولا بد أن يكمل نقص هذه
الترجمة بترجمة منظومة للكتاب كله أو لفصول منه

ولهذه الترجمة العربية قيمة أخرى ، فقد ترجمت في أوائل
القرن السابع الهجري قبل أن يكثر الاختلاف بين نسخ الشاهنامه .
وليس عندنا نسخة من الكتاب ترجع الى ذلك القرن . فيمكن